سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلًا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩

سورة المزّمل

سورة المزمل مكيّة وآياتها عشرون آية.

[١-٢-٣-٤] جاء في صحيح البخاري[1] أن النبي ﷺ لما جاءه جبريل وهو يتعبد ربه في غار حراء، وأنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]؛ رجع إلىٰ زوجه خديجة وهو يرتعد من رهبة الموقف الذي لم يمر بمثله، فقال لها: زملوني زملوني لقد خشيت علىٰ نفسي، ثم أخبرها بالخبر، فكان منها التثبيت والتطمين، ثم غطته بقطيفة، فتزمل بها، أي: التف بها، فناداه سبحانه بهذا النداء الذي فيه تلطف ومؤانسة له، فقال: يا أيها المتغطي بفراشه، دع التغطي والتلفف، وقم بالليل للصلاة إلا وقتًا يسيرًا، ولك أن تقوم نصف الليل، أو انقص من النصف قليلًا حتىٰ تصل إلىٰ الثلث، أو زد علىٰ النصف حتىٰ تصل إلىٰ الثلثين، وأمره أن يقرأ القرآن أثناء قيام الليل قراءة تفكر وتثبت وتؤده وتمهل، ليكون عونًا له علىٰ فهم القرآن وتدبره.

[٥] واعلم يانبي الله أن الله سوف ينزل عليك قرآنًا عظيمًا مشتملًا علىٰ الحلال والحرام والحدود وما يتعلق بالجهاد وأخبار الدنيا والآخرة، وغير ذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم.

[٦-٧] ثم اعلم يانبي الله أن الصلاة التي تنشأ في جوف الليل بعد نوم تكون أشد تأثيرًا في القلب، وأقرب إلىٰ تحصيل مقصود القرآن؛ لأن القلب يكون صافيًا من المشاغل الدنيوية. وأما في النهار فإن لك فيه تقلبًا وتصرفًا في أمور حياتك وانشغالًا في طلب الرزق وتبليغ الدعوة فلا تستطيع أن تتفرغ فيه للعبادة.

[٨-٩] واستعن يانبي الله علىٰ دعوتك بذكر الله وتسبيحه ليلًا ونهارًا، وانقطع لعبادة ربك وتبليغ الرسالة انقطاعًا تامًّا، والتمس ما عنده سبحانه، وتوكل عليه؛ لأنه رب المشرق والمغرب ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه لا معبود بحق إلا هو؛ وها أنت قد عرفت ذلك فاعتمد عليه وفوض أمرك إليه.

[١٠] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ بالصبر علىٰ ما يقول هؤلاء الكفار من سبه وسب ما جاء به، وأمره أن يعتزلهم ويبتعد عنهم بعد أن دعاهم فأبوا، وله أن يقاطعهم مقاطعة حسنة جميلة، بأن لا يتعرض لهم ولا ينشغل بهم ولا ينتقم منهم.

[١١-١٢-١٣-١٤] ثم قال جل وعلا علىٰ سبيل التهديد: اترك يانبي الله لي هؤلاء المكذبين بآياتي، الجاحدين لدين الله، أصحاب الأموال والغنىٰ والترف؛ ودعهم في باطلهم وقتًا قليلًا؛ فعقابهم ومحاسبتهم عندي. وليعلم هؤلاء المكذبون بأن لهم عندنا يوم القيامة قيودًا ثقيلة توضع في أرجلهم إذلالًا لهم، وعندنا نارٌ شديدة الاشتعال سوف نلقيهم فيها. وعندنا أيضًا طعامٌ لا يستساغ ولا يُبلع؛ بل ينشب في الحلق لبشاعته وسوئه، كالزقوم والضريع، وأيضًا عندنا عذابٌ أليمٌ موجعٌ. وهذا العذاب يكون يوم القيامة للكافرين المحاربين للدعوة، يوم ترجف الجبال والأرض وتتزلزل وتتحرك وتضطرب، فتصير الجبال الصلبة الجامدة رملًا وهباءً.

[١٥-١٦] واعلموا ياأهل مكة أن الله أرسل إليكم محمدًا ﷺ رسولًا عظيم الشأن رفيع المنزلة؛ وسيشهد عليكم يوم القيامة بأنه قد بلغكم رسالة الله أتم تبليغ، كما أرسل موسىٰ عليه السلام رسولًا إلىٰ الطاغية فرعون يدعوه إلىٰ الحق؛ فعصىٰ فرعون موسىٰ فأخذه الله أخذًا شديدًا، وذلك بأن أغرقه الله في الدنيا في البحر، وفي الآخرة هو في أشد العذاب. وفي هاتين الآيتين تحذير وتهديد للمشركين إذا ما استمروا في جحودهم وكفرهم فقد يعاقبهم الله عقابًا شديدًا لا يقل عن عقابه جل في علاه لفرعون وجنوده عندما عصىٰ موسىٰ عليه السلام.

[١٧-١٨] وإذا كان الأمر أيها المشركون كما سمعتم من سوء عاقبة المكذبين والجاحدين؛ فكيف تحصنون أنفسكم من عذاب الله يوم القيامة إن استمررتم علىٰ كفركم وعصيانكم، ذلك اليوم الذي من شدة هوله يشيب فيه شعر الولدان، وتتصدع السماء مع عظمها وصلابتها، وهذا اليوم لا بد من وقوعه، لا شك ولا ريب في ذلك؛ فهو وعد الله الذي لا يخلف الميعاد.

[١٩] واعلموا أيها الناس أن هذه الأخبار والمواعظ التي تقدم ذكرها تذكره وموعظة لأولي الألباب؛ فمن أراد من الغافلين الناسين الاتعاظ والنجاة اتخذ إلىٰ رضا ربه سبيلًا، وذلك بتوحيده وإخلاص العبادة له جل في علاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠).

[٢٠] ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ أنه يعلم أنه يقوم جزءًا من الليل، أحيانًا يكون أقلّ من ثلثي الليل، وأحيانًا يكون نصف الليل، وأحيانًا يكون ثلث الليل، ويقوم معه طائفة من أصحابه، والله جل وعلا هو العالم بمقادير الليل والنهار، وقد علم سبحانه أنكم لن تطيقوا أيها الناس قيام الليل كله، ولذا تاب عليكم بالتخفيف عنكم، فصلوا ما تيسر لكم في الليل، فقد علم سبحانه أنه سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار لا يستطيعون معها القيام بالليل؛ فهناك من يعجزه المرض عن قيام الليل، وآخرون يتنقلون للتجارة وكسب الرزق، وآخرون يجاهدون الأعداء لإعلاء كلمة الله ونشر دينه، وقَدَّمَ سبحانه السعي في الأرض علىٰ الجهاد في سبيل الله لأن الإنسان يحتاج بل يضطر للنفقة علىٰ نفسه وعلىٰ أسرته، ولأجل ذلك فقد خفف الله عليكم فصلوا في الليل ما تيسر لكم، وأدوا الصلاة المفروضة في أوقاتها علىٰ الوجه الأكمل، وكذلك أدوا الزكاة الواجبة عليكم إلىٰ مستحقيها، وأنفقوا من أموالكم إنفاقًا حسنًا عن طيب قلب للمجاهدين في سبيل الله وغيرهم، وعبر سبحانه عن الإنفاق بالإقراض لأن المنفق إنما قصد رضا الله والأجر المضاعف فكان شبيها بالإقراض، واعلموا أن ما تقدموا لأنفسكم في الدنيا من صدقة تجدوا ثوابها عند الله يوم القيامة خيرًا مما أبقيتم في الدنيا، ثم أرشد سبحانه إلىٰ الاستغفار لأن الإنسان لا ينجو من السهو والتقصير، واعلموا أن الله ستِّير علىٰ أهل الذنوب والتقصير التي دون الشرك، وأنه ذو رحمة فلا يعاقبهم علىٰ الذنوب بعد توبتهم منها إن أدوا ما عليهم من حقوق للغير.

سورة المدّثر

سورة المدثر مكيّة وآياتها ستّ وخمسون آية.

[١-٢-٣-٤-٥-٦-٧] بدأت هذه السورة بتكليف النبي ﷺ بالنهوض بمهمة الدعوة والتبليغ بجد ونشاط، وقد افتتحها جل وعلا بملاطفته ومؤانسته ﷺ كما افتتح سورة المزمل، فقال سبحانه: ياأيها المتغطي أو الملتف بفراشه، قم من مضجعك وحذر الناس من عذاب الله إذا ما استمروا في شركهم، وعظم ربك بالتوحيد والعبادة، وطهر ثيابك من النجاسات والمستقذرات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، واستمر في ترك الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها وتبرأ منها ومن أهلها، ولا تمنن علىٰ الناس بما أسديت إليهم من النصائح والإرشادات، مستكثرًا ذلك عليهم، واجعل عملك خالصًا لوجه الله لا تريد من أحد جزاءً ولا شكورًا، واصبر علىٰ التكاليف والأوامر التي كلفك الله بها؛ فصبر ﷺ حتىٰ فاق كل الصابرين، وكذلك من عمل الصالحات لا يستكثر ففضل الله أكثر.

[٨-٩-١٠] ثم ذكر جل وعلا جانبًا من أهوال يوم القيامة، فقال سبحانه: فإذا نفخ يانبي الله في القرن نفخة البعث والنشور وهي النفخة الثانية التي يكون بعدها الجزاء والحساب، فاعلم

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ
وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ
يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ٢٠

سُورَةُ المُدَّثِّر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُقِرَ
فِى ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠
ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ١٢ وَبَنِينَ
شُهُودًا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ
كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨

أن ذلك اليوم سوف يكون يومًا صعبًا علىٰ الكافرين الجاحدين لدين الله، لا يسر فيه ولا فيما بعده. ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن قال: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ففي هذا إيناس وتطمين بأن أهوال يوم القيامة ستتيسر علىٰ المؤمنين.

[١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨] ثم أخبر جل وعلا بقصة ذلك الضال المعاند الوليد بن المغيرة، فقال سبحانه: اترك يانبي الله لي هذا الشقي سأكفيك عقابه، الذي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا، وجعلت له مالًا كثيرًا، وكثرتُ أولاده وجعلتهم حضورًا عندَه في مكة لا يفارقونها لكسب العيش، وبسطت له في العيش والجاه، ومكّنتُه من الدنيا وأسبابها، ثم هو مع كلّ ذلك له طمعٌ ورغبةٌ في الزيادة والاستكثار مع بقائه علىٰ الكفر، كلّا فلن نزيده شيئًا، لأنه كان معاندًا لآياتنا، ومكذّبًا بها - بعد تيقنه بصدقها وصوابها -، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]؛ بل سأمحق هذه النعم من بين يديه ولن يهنأ بها أبدًا، وإنا سنكلفه مشقةً من العذاب ونحمله ما لا يطيق، لأنه فكّر وتأمّل في شأن النبي ﷺ، والقرآن الذي جاء به، ثم زور في نفسه كلامًا يريد أن يقوله طعنًا في النبي ﷺ والقرآن الكريم.